**المحاضرات:**

* **قضايا ومصادر الأدب الصوفي**
* **وحدة الوجود**
* **الحلول والاتحاد**

|  |
| --- |
| **المحاضرة رقم 3: قضايا ومصادر الأدب الصوفي** |

1. **قضايا الأدب الصوفي:**
   1. **قضايا الشعر الصوفي:**

كثرت القضايا التي ركز عليها شعراء الصوفية وتعددت، نذكر منها:

1. **قضية الاغتراب:**

الاغتراب عند العرب المسلمين هو ابتعاد الناس عن كل مغريات الحياة الاجتماعية الزائفة، ومن الناحية النفسية فالنفس أمارة بالسوء، ويعتبر تأنيب الضمير عند العرب ارتكاب شيء مشين أحد أسباب القلق والاكتئاب واحتقار النفس ومن ثم يحصل الاغتراب، فالاغتراب في الفكر الإسلامي إيجابي فالإسلام جعل النفس البشرية أكثر اطمئنانا من خلال إبعاده عن كل الظروف المسببة للاغتراب.

ومن أقسام الاغتراب:

* **الاغتراب المكاني**:

ويقصد به الانتقال من المكان، وهذا المصطلح متعلق بالصراع القائم بين الفرد وذاته والبيئة المحيطة به، وقد تغرب الإنسان عن وطنه لعدة عوامل سياسية واقتصادية أو بسبب صعوبة العيش في بعض المناطق في الصحراء أو العمل في الخارج، فكل من يرحل أو يغترب عن وطنه وأهله فسيشعر دون شك بالحنين والشوق والرغبة في العودة إلى أحضانه.

* **الاغتراب السياسي**:

هو انقطاع العلاقة بين المواطن والدولة، وذلك من خلال سلب الحرية وعيش الفرد في معاناة تتركز في تنازله عن حقوقه، وما ينتج عنه من رفض لتلك القوانين الداخلية.

* **الاغتراب الاجتماعي**:

يتمثل في شعور الفرد بعدم التكافل الاجتماعي أو الاغتراب عن الآخرين وانفصال الفرد عن أفراد مجتمعه وثقافته وعاداته وتقاليده، ومن مظاهره: الرفض، الاغتراب عن الذات.

* **الاغتراب الزماني**:

هو حالة نفسية تصيب الإنسان داخل وطنه في مراحل معينة تجعله يشعر بالغربة بين أهله وذويه ومجتمعه، وعدم اعتراف مجتمعه بما يستحقه لأنهم يعيشون في عزلة عن معاصريهم لتعلّقهم الشديد بالزمن الماضي.

1. **قضية الأنا:**

من الصعب تحديد مفهوم الأنا بصورة واضحة لأنّ مفهومه موجود في مختلف العلوم الإنسانية بمعاني مختلفة، نجدف في علوم الفلسفة بمعنى الذات، نجده في علم النفس بمعنى الشخصية، ونجده في علم الاجتماع بمعنى الهوية، والتجريد في علوم العربية، وغيرها من العلوم الأخرى.

ويعتبر الحلاج أول شاعر صوفي وضع اللبنات الأولى لرؤية الأنا الشعرية الصوفية، وابن الفارض من أهم شعراء التصوف الذين حملوا لواء الأنا الشعرية الصوفية باعتبارها جزءا جوهريا لا ينفصل عن رؤيته الخاصة للتجربة، فقد جعل من الأنا مركزا ونواة تتبنى عليها التجربة وصارت الأنا داخل النص هي المنبع الذي تصدر عنه التجربة، وهي المصب الذي ترد إليه دون أن يكون لذات الشاعر حضور خارج الأنا الشعرية، يقول ابن الفارض:

فألفيت ما ألفيت عني صادرا إليّ ومني واردا بمزيد

إنّ شعراء الصوفية هم أكثر من استعمل (الأنا)، وتجلى ذلك خاصة خلال القرنين الثاني والثالث هجريين، لأنّه كان مصدرهم القرآن الكريم، واعتمادا على آياته الدالة على تأكيد مفهوم الأنا وتأصيله، قال الله تعالى: " وأنّ هذه أمّتكم أمة واحدة وأنا ربّكم فاتقون" المؤمنون 52.فالآية تربط مفهوم الأنا وتؤكد حضور الأعلى من خلال واحدية هذه الأمة. فالأنا في النصوص الشعرية الصوفية تفنى من صفاتها البشرية المجسدة لتحقق في صفات الربوبية المجرّدة.

1. **الحب الإلهي:**

لقد التقت فكرة الحب الإلهي بسحر بيان الشعر ، لتكتشف مساحة واسعة غنية بالأنغام القدسية، والألحان العلوية التي أبدعها شعراء تغنوا بالحب الإلهي عشقا وهياما، فناء وذوبانا، فقد وضعوا عالما شعريا له مفرداته ورموزه وإيحاءاته.

لقد عبوا عن حبهم الإلهي بلغة االعواطف الإنسانية وبأساليب مأخوذة من شعر الغزل، العفيف منه في رومانسيته المفرطة، فمزجوا في أوصافهم بين أوصاف المرأة الحسية التجريدية وأوصافها المعنوية، بما فيها من جمال مفرط، مع ذلك نجد خاطب الذات الإلهية بشكل يتقرب من العلوية، مما يجعلنا نشعر بأنّ الرمز لديهم في أدنى مستوياته.

فالموت بالحب حياة بدون حب موت، فحب الله أسمى عاطف في الإنسان، فكأنما خلق قلبه له، وأنّ اتصال القلب بمحبوبه وهو الله حياة لهذا القلب، وانقطاعه عنه موت له، وكما أنّ هذا الحب حياة الفرد فهو كذلك حياة للمجتمع، فلما كان للحب الإلهي يستتبع أنواع الحب الأخرى كمحبة الأسرة ومحبة المجتمع، فهو باب الخير، وبهذا ينتشر الحب داخل المجتمعات.

1. **الحقيقية المحمدية:**

قدّمت العديد من التعاريف المتعلقة بالحقيقة المحمدية التي تناولها المتصوفة في قصائدهم الشعرية، وكلها تدور في فلكين اثنين أو نقطتين، وهما:

* النبيّ محمد أزلي قديم وجد قبل آدم عليه السلام، ومن هذا النور انبثق الأنبياء.
* كائن حي محدث وجد في مكان وزمان محددين.
  1. **قضايا النثر الصوفي:**

نحاول أن نلخص قضايا النثر الصوفي في النقاط التالية:

1. القضايا المعرفية:

* قضية الحب
* قضية المعرفة
* قضية الخيال
* قضية الجدل
* قضية الكمال

1. القضايا التعبيرية:

* اللفظ والمعنى ومعنى المعنى
* الرمز
* الشطح

1. **مصادر الأدب الصوفي:**

* **البيئة الإسلامية والشعر الديني:**

لقد استمد الشعر الصوفي مصادرا من مؤثرات من داخل البيئة الإسلامية وأشعارها، ومن مؤثرات خارجة عنه، فتأثر الشعراء بالكتاب المقدس، والشعر الديني في الإسلام، هذا الأخير يعتبر أول منابع الأدب الصوفي، إذ كان يعبّر عن الدعوة الإسلامية ومنه شعر الفتوح وتمجيد البطولة والإشادة بالإسلام ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم، " ظهر في شعر الفتوح وتمجيد البطولة وذكر البلاء في الحرب، والإشادة بالإسلام، وما يتصل بذلك من مدح للرسول صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والأنصار"، وكان للمدائح النبوية أهمية خاصة وتطورا كبيرا في ظلّ التصوف الإسلامي.

وفي العصر الأموي صار يسمى بشعر التدين الذي يتعلق بالوعظ والذكر بالآخرة ووصفها والحكمة الدينية والأخلاق، وتطور هذا النوع مع تطور الحياة الروحية في المجتمع الإسلامي، فظهر شعر الزهد الذي يدعو إلى ترك ملذات الدنيا وشهواتها والجهاد في سبيل الله والالتزام بعبادته، وكان لبعض القضايا التي تناولها شعر الوهد نواة الشعر الصوفي وكذلك التصوف، وأصبح شعر الزهد أداة للمحبة الإلهية، وقد كانت رابعة العدوية أول من كتب شعرا في الحب الإلهي.

* **الشعر الغزلي:**

تأثر الشعر الصوفي بالشعر الغزلي الذي كان في العصر الجاهلي مجرد أبيات يتحدث فيها الشاعر عن حبه للمرأة، يصفها، يتغزل بها، ويبكي على الأطلال، وفي العصر الأموي انقسم الغزل إلى غزل ماجن وغزل عفيف، هذا الأخير نُقل إلى المعنوي الروحي، وفي العصر العباسي ظهر الغزل الصوفي الذي تناول الحب بشكل مختلف (رغم أخذه من النوعين السابقين للغزل)، إذ نسبوه إلى الله، فالحب الإلهي فرع من فروع الغزل، يحمل ألفاظه ولكن تفسيرها وتأويلها مختلف، فقد وجد الشعراء الصوفيون أنّ الله وحده حري بالتوجه بالحب إليه، وهذا ما نجده عند ابن عربي وابن الفارض.

* **شعر الخمرة:**

تأثر الشعر الصوفي بشعر الخمرة، فالخمريات الصوفية استلهمت صورها وأساليبها من شعر الخمرة، لكن لم تأخذ مجونه، نشوة الحب عند الصوفية يسمونها سكرا وهو يشبه في آثاره السكر الحسي، وقد اقتبس الشعراء الصوفيون من خمريات أبي نواس التي اشتهر بها في العصر العباسي. وقد أصبح للخمر وضع متميّز في تراث المتصوفة الأدبي.

* **الرمز:**

**الرمز اصطلاحا**:

هو معنى باطن مخزون تحت كلام ظاهر لا يظفر به إلا أهله"، " الرمز أسلوب من أساليب التعبير شاع في الكتابات الصوفية نثرها وشعرها، سواء كانت هذه الكتابة في التصوف أو في أدبه، لأنه أسلوب ألجأتهم إليه الحاجة، فهم يتكلمون ويكتبون عن مشاهد لا عهد للغة بها فمن الطبيعي إذن أن يلجأوا إلى هذا الأسلوب الذي يعينهم ببعض الشيء على نقل أفكارهم وتصوير إحساسهم".

فمن الطبيعي أن يلجأ المتصوفة إلى استعمال مصطلحات خاصة بهم " فلكل قوم ألفاظا وتعابيرا..."، وقد جرت أغلب ألفاظ الصوفية على معان وجدانية وروحية ونفسية واجتماعية".

لقد استعمل الشعراء المتصوفة الرمز الذي استمده هؤلاء من الأساليب الرمزية في القرآن، فقد ذكروا رموزا من العالم الدنيوي للرمز على العالم العلوي، ومن ثم فقد دلّ الشعراء الصوفيون بالخمر والنساء والأطلال وغير ذلك من الرموز أحوالهم مع الله.

|  |
| --- |
| **المحاضرة رقم 4: وحدة الوجود**  **المحاضرة رقم5: الحلول والاتحاد** |

1. **معنى الوجود اصطلاحا:**

وحدة الوجود عقيدة كبرى من عقائد الصوفية، وهي تعني " أنّ الله تعالى والعالم شيء واحد"

مما يعلم بضرورة العقل وبديهيته أنّ الوجود ينقسم إلى قسمين: وجود واجب (الله سبحانه وتعالى) ووجود ممكن(هو الموجود الذي وجوده من غيره، وهو يقبل الوجود والعدم، وهو ما سوى الله من الموجودات).

* 1. **اعتقادات الصوفية:**
* اعتقادهم عدم الكائنات: يدعي الصوفية أنّ الكائنات والموجودات معدومة أزلا وأبدا، وأنّ الله تعالى لو الوجود وحده، ويرون أنّ عقول المحجوبين(غير صوفيين) تتخيل أنّ المخلوقات موجودة.
* اعتقادهم أنّ الكائنات هي الله: تعتقد الصوفية أنّ الكائنات كلها هي الله.
* محاولتهم الجمع بين الكثرة والوحدة: يرى الصوفية أنّ تعدد المظاهر لا يتنافى مع الوحدة، يقول محمد الحفناوي: " عند السادة الصوفية له(أي للوجود) مفهومان: عام وهو الأفراد الإضافية، خاص وهو حقيقة واحدة مطلقة، موجودة وجودا حقيقيا وواجبيا، وأما العام فأمر اعتباري لا وجود له إلا تخيلا، وهو مظهر لحقيقة الوجود الحق الواحد".
* تجلي الله في صور المخلوقات: يعتقد الصوفية أنّ الله يظهر في صور المخلوقات المختلفة، فهو الظاهر في جميع المظاهر، أي الله ما يتجلى إلا على نفسه، قال الصوفية: " نحن لا نرى الأكوان، فإنّما يعنون انهم لا يرونها خلقا، ولكنهم يرونها حقا.

وادعاء الضوفية رؤيتهم الله تعالى في الدنيا على الدوام، وأنّهم لم يحجبوا عنه طرفة عين، حقيقيته اعتقادهم انّهم يرون الله في الأكوان، يل يرونه هو الأكوان، يقول شيخهم الأكبر اين عربي: " العارف من يرى الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء".

* اعتقادهم أنّ كل شيء الله: يعتقدون أنّ الله تعالى هو كل ما يرى، بل وما لا يرى أيضا، يقول ابن السبعين: " الله فقط، هو الكل بالمطابقة"
* اعتقادهم بأنّ الكائنات الدنسة هي الله: صرح أئمة القوم بأنّ الكائنات الدنسة السافلة هي الله في الحقيقة، تعالى الله عما يقولون كبيرا.
* اعتقادهم أنّ الله هو الموجودات والمعدومات والممتنعات: ولم يكتف الصوفية باعتقاد أنّ الموجودات شريفها ووضيعها هي ذات الله، فراحوا يصرحون بانّ الله هو الموجودات والمعدومات والممتنعات، يقول ابن عربي: " العلي بنفسه: هو الذي يكون له الكمال الذي يستغرق جميع الأمور الوجودية والنّسب العدمية، بحيث لا يمكن أن يفوته نعت منها، وسواء كانت محمودة عرفا وعقلا وشرعا، أو مذمومة عرفا وعقلا وشرعا، وليس ذلك إلا لمسمى 'الله' خاصة".

إنّ مراد الصوفية من وحدة الوجود صعب التصور، لا يمكن بيانه على وجه معقول، وكيف لا يكون كذلك من وهم أنفسهم، فهو معتقد مناقض للعقول.

ولهذا لما بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله حقيقية وحدة الوجود قال: اعلم أنّ المذهب إذا كان باطلا في نفسه، لم يكن الناقد ان ينقله على وجه يتصور تصورا حقيقيا، فإنّ هذا لا يكون إلا للحق، فأما القول الباطل فإذا يُبيّن فبيانه يظهر فساده، حتى قال: كيف اشتبه على أحد؟؟؟

* 1. **أسماء أخرى لوحدة الوجود:**

لقد استخدم الصوفية أسماء واصطلاحات كثيرة للدلالة على وحدة الوجود، نذكر منها:

* التوحيد
* الفردانية
* المشاهدة
* الشهود
* الفناء
* الحقيقة
* التحقيق
* الجمع
* جمع الجمع
* الإحسان

1. **معنى الحلول والاتحاد اصطلاحا:**

عقيدتان نشأتا في بعض الأديان الوثنية، والفلسفات القديمة، وظهرتا على وجه الخصوص بين النصارى الذين حرفوا دين المسيح عليه السلام، حيث ادعوا حلول الله أو اتحاده به، كما ظهرتا في العالم الإسلامي عند بعض الطوائف، وخاصة عند بعض الفرق المظهرة للتشيّع، الذين زعموا حلول الله تعالى، أو اتحاده بعلي با أبي طالب رضي الله عنه، أو ببعض ذريته.

وقد اختلفت الآراء في تحديد المراد بالحلول والاتحاد، فرأى فريق من الباحثين أنّهما مترادفان، متفقان في المعنى، فالحلول عندهم: اتحاد الله بخلقه، والاتحاد عندهم: حلول الله بخلقه.

ورأى فريق آخر أنّ الحلول له معنى مباين لمعنى الاتحاد، ثم اختلفوا بعد ذلك في تحديد معنى كل منهما.

2-1- **موقف الصوفية من الحلول والاتحاد:**

لقد نسب القول بالحلول والاتحاد إلى بعض الصوفية، لكن هاتين العقيدتين تخالفان أصلا مهما عند الصوفية وهو (الوحدة)، فإنّ الحلول يستلزم حالا، والاتحاد يستلزم شيئين يحصل اتحادهما، وهذه اثنينية ، وهي منتفية عندهم، فإذا كان الوجود واحدا فلا حلول ولا اتحاد.

ولهذا كثرت أقوال الصوفية في رد الحلول والاتحاد، والقول ببطلانها:

* قال ابن عربي: " واحذر من الاتحاد في هذا الموضع، فإنّ الاتحاد لا يصح"
* قال أبو حامد الغزالي: " العارف الكامل كالمتحد بمذكوره، لست أقول متحدا بالذات، فلا تغفل وتغلط، وتسيء الظن".
* قال ابن عجيبة: الاتحاد هو اقتران القديم مع الحديث، فيتحدان حتى يكونا شيئا واحدا، وهو محال، إذ هو مبني على وجود السّوى، ولا سِوى".

والصوفية يرون أنّ القول بالاتحاد والحلول شرك وكفر، أما أنّه شرك: فلأنّ من اعتقدهما قد جعل مع الله موجودا آخر، وأما أنه كفر: فلأنه قد أنكر وحدة الوجود وجحدها.

ذكر ابن عجيبة أنّ الصوفية قد يطلقون الاتحاد على الوحدة.

والحلول عند الصوفية هو نزول الوجود الإلهي الحق في الموجودات الموهومة، فليس هناك حلول حقيقي، بل الحال هو المحلّ، أما الحلول المقتضي للأثنينية فهو أبعد ما يكون عن عقيدة المتصوفة.

يقول العروسي: " الاتحاد والحلول بين الشيئين المتغايرين من كل الوجوه شرك عند أهل الله أي الصوفية، وذلك لفناء الأغيار عندهم بسطوع نور الواحد القهار، بل المراد أنّ الحق تعالى باعتبار أنّه مصدر الكائنات جميعها، علويها وسفليها، مركبات وبسائط ومجردات، جواهر أو أعراض، كليات أم جزئيات، واعتبار انفراده بالوجود الذاتي، وأنّ جميع الوجودات مستمدة من وجود فهو هي، وهي هو".

وقد توالت توجيهات أئمة التصوف لأتباعهم أن لا يغتروا بالأقوال المشعرة بالحلول والاتحاد

قال ابن عربي: " إذا سمعت بالاتحاد من أهل الله، أو وجدته في مصنفاتهم، فلا تفهم منه ما فهمت من الاتحاد الذي يكون بين الوجودين، فإنّ مرادهم من الاتحاد ليس إلا شهود الوجود الحق الواحد المطلق الذي الكل به موجود فيتحد به الكل من حيث كون كل شيء موجودا به، معدوما بنفسه لا من حيث إنّ له وجودا خاصا اتحد به، فإنه محال".

وقال الصوفي المعاصر محمد المعطي الكتاني: " لا تضن بالقوم سوء من أجل هذه العبارة الموهمة كالقول بالحلول والاتحاد... فكل ذلك لم يخطر ببالهم، كيف وهم لا يثبتون مع الله سواه".

وقال محمد العربي التجاني: " فليحذر العبد أن يميل بقصور فهمه، وتخيلات وهمه، إلى شيء مما يعطيه ظاهر عبارات الكمّل رصي الله عنهم، من الحلول والاتحاد فيجرّه ذلك –والعياذ بالله- إلى الزندقة والإلحاد"، ويعنون بالزندقة والإلحاد: الاعتقاد بأنّ وجود الخالق غير وجود المخلوق.

يقول العروسي: " التشريك في صفة الوجود مع الحق تعالى ذنب لا يقاس به ذنب"

أما التوحيد والإيمان عندهم فهو اعتقاد الوحدة، وفي هذا يقول النابلسي: " رجوع الأعيان الكثيرة إلى العين الواحدة هو التوحيد الحقيقي والإيمان الكامل".

ووصف طوائف من أهل التصوف بأنهم حلولية او اتحادية يرجع إلى ثلاثة أمور:

* تجوّز بعض الصوفية في التعبير عن مذهبهم، فيطلقون اسمى الحلول والاتحاد على وحدة الوجود.
* عدم فهم بعض الناس لحقيقة مذهب الصوفية، فيظن انّ كلامهم في الحلول او الاتحاد ، وهم إنّما يريدون وحدة الوجود.
* التقارب في النتيجة من اعتقاد الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، وهو أن يكون العبد – بزعمهم- ربّا.